

دراسة الآثار الطبية والنفسية لمخاطبة

المرضى بغير لغتهم

إعداد

د. خالد أحمد الصالح - هيام طاهر - على المهنا - هدى محمد

هدف البحث:

إيجاد أو نفي العلاقة بين زيادة القلق النفسى وعدم الاستمرار في المتابعة والهروب من العلاج وبين عدم مخاطبة المرضى بغير لغتهم الأم بالنسبة للمرضى المصابين بالسرطان والذين يترددون للعلاج أو المتابعة في مركز الكويت لمكافحة السرطان في الفترة ما بين شهر يوليو ١٩٩٥م إلى شهر ديسمبر ١٩٩٥م.

تصميم البحث:

اعتمد التصميم على استبيان مكون من أحد عشر سؤالاً بعد ملء خمس بيانات خاصة بوصف الحالة (الاسم - العمر - مستوى التعليم - نوع العلاج - إجادة اللغة الإنجليزية).

وقد روعى في الأسئلة أن تخدم هدف البحث، كما اعتمد التصميم على اختيار عينة عشوائية عددها مائة وثمانون مريضاً يراجعون في أيام مختلفة مركز الكويت لمكافحة السرطان لإصابتهم بمرض السرطان سواء كانوا في مرحلة العلاج أو المتابعة، وقد تم إعطاء كل مريض نسخة من الاستبيان وطلب منه أن يجلس في العيادة للإجابة عليه شخصياً أو بمساعدة الممرضة المسئولة، وقد استغرق جمع الاستبيان ستة شهور كما روعى في الاستبيان

المرونة بحيث يتبع كل سؤال ثلاث إجابات حتى تتسع خيارات المريض دون السماح بتشتت أفكاره.

النتائج:

إن نتائج الاستبيان أوضحت رغبة المرضى في التعامل مع طبيب يعرف لغتهم الأم، رغم أن من يمكنهم التفاهم باللغة الإنجليزية من المرضى هي ٤٨,٧% من العينة إلا أن ٢,٢% فقط هم الذين يشعرون بالراحة وهم يتعاملون باللغة الإنجليزية مع الطبيب.

كما أن نسبة التوتر الجزئى أو الكلى الذي يشعر به المريض وهو يحاول التفاهم مع طبيب لا يتكلم لغته وصلت إلى ٧٣,٣% كما أن الخوف التام أو الجزئى من إساءة فهم الشكوى التي يعرضها المريض لطبيب هي ٧٨,٩% ورغم أن من فكر كلياً أو جزئياً بعدم تكلمة العلاج نتيجة لما سبق هي ٣٠% إلا أن الشعور بالخوف لدى المرضى من الأخطاء الطبية عندما يتعاملون مع أطباء لا يتكلمون لغتهم الأم وصل إلى ٦٠%، والملاحظ أن ٦٥% من المرضى الذين شملتهم العينة لديهم ثقة أكبر بالأطباء الذين يتكلمون لغتهم، كما أن نسبة ٩٢,٨% من المرضى يتعمنون بصورة كاملة أو جزئية أن يكون لمبيهم المعالج يحسن لغتهم الأم.

الاستنتاج:

إن الانطباع السائد أن المرضى يفضلون الأطباء الذين لا يتكلمون العربية انطباع خاطئ وربما مرجع ذلك أن هذا الانطباع متواجد في مجتمع الأصحاء دون المرضى، وهو أمر يحتاج إلى بحث علمى لتأكيدده أو نفيه.

وقد كان الاستنتاج الأساسى من البحث أن من أكثر الأخطار التى تواجه مرضى السرطان زيادة القلق النفسى لديهم، والتوتر الذى يصاحب عدم مخاطبتهم بلغتهم الأم من الأطباء مما يشكل عبئا نفسيا آخر يضاف إلى أعباء المرض نفسه.

كما أن المرضى الذين لا يكملون علاجهم تكون لغة التفاهم هي أحد الأسباب المؤدية إلى فرارهم من العلاج دون إتمام علاجهم، وأخيراً إن الثقة بالأطباء الذين يتكلمون باللغة العربية ثقة كبيرة تعكس أهمية مخاطبة المرضى بلغتهم الأم.

المقدمة:

اللغة بلا منازع هي أوضح خصائص الجنس البشرى تميزا له ودلالة على طبيعته الفريدة، وهي ليست نظاماً لتوليد الأصوات الناقلة للمعنى بل هي مرآة للعقل وأداة للتفكير، وهي كما يقول الفيلسوف الألمانى «ولهام همبولدت» صاحب نظرية الحتمية اللغوية: «إن الناس تبع في تفكيرهم وأحاسيسهم ونظراتهم للكون للعادات التى اكتسبوها من خلال ممارستهم للغة».

ورغم أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدول العربية، وهي أيضا اللغة التى يتخاطب بها مواطنوها ويستخدمونها في أمور حياتهم اليومية، إلا أنه وبسبب أن التعليم الطبى مازال في أغلب الدول العربية بالإنجليزية وهو أمر شاذ إذا قيس ببقية دول العالم، بسبب ذلك أصبح هناك انطباع بأن اللغة الإنجليزية هي اللغة التى يجب أن يتحدث بها الأطباء، وهذا الانطباع وجد صدى في نفوس الذين يشجعون استخدام اللغة الإنجليزية لإحلالها محل اللغة العربية فسارعوا في توسيع دائرة استخدام اللغة الإنجليزية بحيث لم تقتصر على أماكن العلم فقط بل انتقلت إلى غرف الكشف فبدأ يتخاطب بها المرضى

سواء عرفوا اللغة الإنجليزية أم لم يعرفوها، بل إن التوجه الذي كان موجوداً في الكويت سابقاً بتعليم الأطباء والهيئة الطبية من الأجانب اللغة العربية قد أسقط من الحساب فأصبح الطبيب أو الممرضة الأجنيان يقيمان في الكويت سنوات طويلة يعودان بعدها إلى بلديهما ورصيد كل منهما في اللغة العربية لا يتجاوز بضع كلمات، ونتساءل نحن كيف تسنى لهذا الطبيب أو تلك الممرضة التعامل مع المرضى الذين لا يجيدون غير اللغة العربية، وهم كثير - خلال تلك السنوات، فيكون الجواب: أن ذلك التعامل دفع ثمنه أولئك المرضى. إن العلماء العرب منذ زمن طويل ملأهم الرعب من هذا المصير الذي أشارت إليه نتائج البحث فسارعوا نحو الدفع في اتجاه التعريب حتى لا يأتي يوم يختار المواطن بين تعلمه للغة الإنجليزية أو دفع ثمن غير ذلك من صحته.

وفي هذا المجال ذكر الدكتور/ محمد فتحى هندی في كتاب علم التشريح والدكتور/ أحمد حسين في كتاب لمحات طبية والدكتور/ محمود دياب في كتاب الطب والأطباء ذكروا وغيرهم كثير أهمية اللغة العربية وارتباطها بالطب سواء على صعيد الأطباء أو على صعيد المرضى.

المرضى ومواصفاتهم:

اشتملت الدراسة على عينة عشوائية بعدد ١٨٠ مريضاً راجع مركز الكويت لمكافحة السرطان للعلاج أو المتابعة جميعهم مصابون بمرض السرطان وفي مراحل مختلفة وأنماط علاج متباينة، كان منهم ٨١ ذكراً بنسبة ٤٥% و ٩٩% أنثى بنسبة ٥٥% وقد بلغ متوسط أعمار العينة ٤٥ سنة، عدد الذين أعمارهم ٣٠ سنة فأقل ٤٠ مريضاً بنسبة ٢٢%، وعدد الذين فوق ٣٠ سنة ودون الخمسين ٨٦ بنسبة ٤٨%، أما الذين فوق الخمسين فهم ٥٤ مريضاً بنسبة ٣٠%، وقد تلقى معظمهم علاجاً فعالاً ضد السرطان، وقد بلغ نسبة من

تلقى العلاج الإشعاعي فقط ٣٨ مريضاً بنسبة ٢١,١٪، ومن تلقى علاجاً كيميائياً فقط ٣٥ مريضاً بنسبة ١٩,٤٪، ومن تلقى العلاج الجراحي فقط هم ٢٢ مريضاً بنسبة ١٢,٢٪، أما من تلقى علاجاً إشعاعياً وكيميائياً فهم ١٤ مريض بنسبة ٧,٨٪، ومن تلقى علاجاً إشعاعياً وجراحياً فهم ٥٤ مريضاً بنسبة ٣٠٪، والذين أخذوا علاجاً كيميائياً وجراحياً ٧ حالات بنسبة ٣,٩٪.

كما أن تحليل البيانات للعينة المختارة يتضح مايلي:

أمي	٥٦ مريضاً بنسبة	٣١,١٪.
يقرأ ويكتب	٣١ مريضاً بنسبة	١٧,٢٪.
قبل الثانوى	٢٥ مريضاً بنسبة	١٣,٩٪.
ثانوى	٤٦ مريضاً بنسبة	٢٥,٦٪.
جامعى	٢٠ مريضاً بنسبة	١١,١٪.
عالى	٢ مريضاً بنسبة	١,١٪.

أما إجادة اللغة الإنجليزية فإن من يجيدها بصورة ضعيفة عددهم ١٦ مريضاً بنسبة ٨,٩٪، أما بصورة جيدة فهم ١١ مريضاً بنسبة ١,١٪ أما بصورة مقبولة فهم ٢١ مريضاً بنسبة ١١,١٪ أما الذين يعرفون بعض الكلمات والجمل فهم ١٣ مريضاً بنسبة ٧,٢٪ والذين لا يعرفون اللغة الإنجليزية فهم ٨١ مريضاً بنسبة ٤٥٪.

تفصيل النتائج:

كانت الأسئلة جميعها تدور حول التأثيرات المحتملة التى يمكن أن تتركها عدم مخاطبة المرضى بغير لغتهم على الحالة الصحية والنفسية للمرضى فكان أول سؤال عن حالة التوتر التى قد تصاحب المريض عندما يجلس أمام طبيب لا يعرف لغة المريض الأساسية فقد أجاب ٩٦ مريضاً

بنسبة ٥٣,٣% إنهم يشعرون بالتوتر، بينما أنكر ٢٥% شعور التوتر، وشعرت نسبة ٢٠,٦% بتوتر إلى حد ما.

وقد أجاب ٩١,٧% من المرضى بأنهم يشعرون بالراحة التامة عندما يتعاملون مع طبيب يفهم لغتهم، ونسبة ٥% يشعرون بالراحة إلى حد ما، بينما لا تشكل اختلاف اللغة عند ٢,٢% أي فارق.

وعند سؤال المرضى حول مخاوفهم من أن تساء فهم شكواهم أثناء شرحها لطبيب لا يتكلم لغتهم كانت نتائج ٦٥% أن يخافوا من ذلك تماماً بينما ١٣,٩% يخافون إلى حد ما، أما ١٨,٩% فهم لا يخافون من سوء فهم شكواهم.

وعند سؤال العينة المختارة بطريقة عشوائية عن تفصيلهم معرفة حالتهم من طبيب يعرف لغتهم أجاب ٩٠% بالقبول بينما أجاب ٢,٢% بقولهم إلى حد ما، وهناك ٧,٢% لا فرق لديهم.

وعن حالة الضيق التي يشعر بها المريض إذا غادر غرفة الكشف من طبيب لا يعرف لغته أجاب ٦٦,١% بأنهم يشعرون بالضيق، بينما أجاب ١٦,٧% بأن يشعر بالضيق إلى حد ما، وأنكر ذلك ١٦,٧%، وعن مقدار ربط الثقة بالمخاطبة باللغة الأم أجاب ٦٥% أن يثقوا بمن يخاطبهم باللغة العربية، بينما أجاب ٦,٧% بأنهم يثقون بمن يخاطبهم باللغة الإنجليزية، ونسبة ٢٧,٨% لا فرق لديهم.

وعن آمانياتهم إذا دخلوا على طبيبهم المعالج أجاب ٨٢,٨% بأنهم يتمنون أن يكون الطبيب يعرف لغتهم. بينما أجاب ١٠% بأنهم يتمنون ذلك إلى حد ما، وكانت نسبة ٦,٧% لا فرق لديهم.

وعندما سئلت العينة عن ما إذا فكروا بترك العلاج بسبب أن الطبيب لا يفهم لغتهم، أجاب بنعم نسبة ٢١,٧%، وأحياناً نسبة ٨,٣% بينما أجاب

٦٨,٩٪ بالنفي.

وعن شعورهم باحتمال الخطأ في العلاج بسبب عدم التفاهم اللغوي أجاب ٤١,١٪ إنهم ينتابهم هذا الشعور، بينما أجاب ١٨,٩٪ بأن هذا الشعور ينتابهم إلى حد ما، بينما لا ينتاب هذا الشعور نسبة ٣٨,٣٪.

وقد سئلت العينة عن إيمانها بأهمية التواصل اللغوي في العلاج والمتابعة فأجاب ٨٣,٣٪ بأهمية هذا الأمر، وأجاب ٨,٣٪ إلى حد ما، وأجاب ٧,٨٪ بعدم أهمية هذا الأمر.

وعن شعور المرضى بالظلم إذا كان في بلادهم لا يستطيعون التفاهم بلغتهم مع الطبيب أجاب ٥٧,٢٪ أنهم يشعرون بالظلم، و ١٢,٢٪ إلى حد ما و ٣٠٪ لا يشعرون بالظلم.

المناقشة:

إن مواصفات العينة المختارة تكشف أن معظم المرضى تعرضوا إلى نوع أو أكثر من العلاج الفعال للسرطان، وهذا يعني أن معظمهم لديه خبرة، في قسم أو أكثر من أقسام مركز الكويت لمكافحة السرطان، فإذا كان قسم العلاج الإشعاعي فيه ٤٠٪ من الأطباء لا يحسنون اللغة العربية، والعلاج الكيماوي فيه ٧٥٪ من الأطباء لا يتكلمون اللغة العربية، والعلاج الجراحي فيه نسبة ٥٠٪، يمكننا أن نثبت أن العينة لديها خبرة في التعامل والاحتكاك بالأطباء الغير متحدثين باللغة العربية والأطباء المتحدثين باللغة العربية لذا كانت إجابتهم على الأسئلة من واقع الخبرة والاحتكاك وعبرت هذه الإجابة عن صدق ما في أنفسهم وعن حقيقة آرائهم في ما يتعلق بموضوع البحث.

كما أن من خلال وصف العينة المختارة وعددهم ١٨٠ مريضاً وهو رقم مقبول إحصائياً تبين أن نسبة الذين يمكنهم التفاهم باللغة الإنجليزية

بمستويات مختلفة هم ٤٧,٨% وهذا يعكس نسبة جيدة تخدم البحث، ورغم أن المرضى بنسبة ٤٧,٨% يمكنهم التفاهم مع أطباءهم الغير ناطقين باللغة العربية إلا أن هناك نسبة ٨٢,٨% يتمنون أن يكون الطبيب يعرف لغتهم الأم، وهذا يعكس خصوصية الشكوى الطبية التي يرغب المرضى أن يعبروا عنها بلغتهم الأساسية حتى يشعروا بالثقة من وصول المعلومة إلى الطبيب، وبالتالي بالراحة إذا تم التشخيص، لذا لا عجب أن ٦٠% من مرضى العينة ينتابهم شعور بشكل أو بآخر في احتمال الخطأ بالعلاج إذا عرضوا شكاوهم على طبيب لا يفهم لغتهم.

كما كشف البحث أحد أسباب التهرب من المتابعة التي يعاني منها الأطباء في مركز الكويت لمكافحة السرطان، فالمعروف لدى أخصائي علاج الأورام أن برنامج المتابعة في حقل السرطان له أهمية عظيمة ويعتبر مكملاً ومتمماً للعلاج، وبدون المتابعة ربما يتعرض المريض إلى بداية رجوع للورم دون أن يشعر، وربما يدفع ثمنه حياته، وقد كشف هذا البحث أحد أسباب عدم الرغبة في المتابعة، وأيضاً كشف ما هو أخطر في عدم الرغبة في تكملة العلاج الأساسي، فالضيق الذي يشعر به نسبة ٨٢,٨% بصورة أو بأخرى كلما خرجوا من عند طبيب لا يتكلم لغتهم تدفعهم إلى عدم المتابعة لاسيما إذا علمنا أن احتمال دخولهم على أطباء لا يتكلمون لغتهم في مركز الكويت لمكافحة السرطان أعلى من احتمال دخولهم على أطباء يتحدثون لغتهم بنسبة ٥٥%، كما أن هناك نسبة ٣٠% فكروا بصورة أو بأخرى بقطع العلاج، فلا عجب أن يكون هناك قصور في متابعة المرضى، ولا عجب أن هناك مرضى لا يكملون علاجهم.

مصادر البحث

- ١- عالم المعرفة. عدد
- ٢- علم التشريح للرياضيين. د. محمد فتحى هندى
- ٣- الإنسان وعلم الحيوان. د. أحمد حسين القفل
- ٤- الطب والأطباء. د. محمود دياب
- ٥- السرطان.